2- الأدب النِّسوي الفلسطينيّ في لبنان بين ماضيه المتألّق وحاضِرِه الشَّحِيح

إعداد. الدكتور عماد يحيى عكاوي

طرابلس. لبنان

akkawii@yahoo.com

مقدّمة :

الأدب الفلسطينيّ من أكثر الآداب التصاقًا بشخصيّة شعبه، ومن أصدقها في التعبير عن هموم الشعب الفلسطينيّ، وعمّا قدَّمه الفلسطينيّون لوطنهم في الصمود والمقاومة، والبذل، والتضحية، والعطاء.

وقد أصبحت أركان هذا الأدب من: شعر، ورواية، وقصَّة قصيرة، ومقالة، ونقد، وبحث، ودراسة، في مستوًى لا يقلُّ عمّا بلَغَته الآداب العربيّة المتقدِّمة.

فكان الأديب الفلسطينيّ يسير كتفًا إلى كتف مع المقاتل، فهو كما قالت الشاعرة الفلسطينيّة مي صايغ[1]:. إنّ الكلمة لا تحرّر فلسطين، ولكن المسيرة تُصبح أكمل لو ترافقت البندقيّة المقاتلة، والكلمة الموجّهة»[2].

لقد تطوّر الأدب الفلسطينيّ وتوسَّع في الشتات، ولا سيما في لبنان، متأثِّرًا بعدّة عوامل، تطرّق إليها العديد من الباحثين.. فالآراء النقديّة تتفاوت في مقدار الأهميّة التي تعزوها لهذه المؤثِّرات والعوامل.. غير أنّ تاريخ الأدب العربيّ الحديث، والشعر خاصّة، وبشكل أدقّ ما كُتب منه منذ النّكبة الفلسطينيّة عام 1948، يُبيّن أنّ الفنّ له طريقته الخاصّة في العودة إلى مجراه الطبيعيّ في مجال التطوّر والنموّ»[3]، وفي هذا يقول الباحث الأديب نزيه أبو نضال[4]: «إنّ رحلة الشعر الفلسطينيّ الذي رافق مسار الثورة فتفاعل معها يشكّل مرجعًا ضخمًا للأحداث الكبيرة والصغيرة، وهذا المرجع ليس وثيقة تاريخيّة بالغة الأهميّة فقط.. لكنّه ديوان رائع من الشعر أيضًا»[5].

فالتجربة الفلسطينيّة الحديثة قاسية برمّتها، لا سيّما حياة اللجوء منها، فهي لا تترك ناحية من نواحي الحياة دون التدخّل في أعمق أعماقها، وليس هناك من فلسطينيّ يستطيع تفاديها. ومع ذلك فإنّ هناك مادّة غنيّة للأدب حتّى في هذا الوضع الراهن للأزمة الفلسطينيّة.. فالنكبة الفلسطينيّة تحمل في طيّاتها مواقف كثيرة يمكن أن تتحوّل إلى رؤية مأساويّة من ناحية، ورؤية بطوليّة من ناحية أخرى لمواقف

---

(1) **مي صايغ (1940) شاعرة فلسطينيّة:** من مواليد غزّة. سافرت إلى الأردن، ثمّ نزحت إلى لبنان. لها العديد من الدواوين الشعريّة. أحمد عمر شاهين: موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين،. 465. وحسين لوباني: موسوعة أعلام فلسطين في العلوم والفنون والآداب، ص620-619.

(2) مجلّة الوطن العربيّ: حوار أجري مع الشاعرة الفلسطينيّة مي صايغ، العدد 167, نيسان 1980.

(3) د. سلمى الخضراء الجيّوسي: «موسوعة الأدب الفلسطينيّ المعاصر- أنطولوجيا»، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت, الطبعة الأولى, 1997, ج1,. 31.

(4) **نزيه أبو نضال (1943) أديب فلسطيني:** ولد في عمّان، الأردن. رئيس اتحاد الكتّاب والصحفيّين الفلسطينيّين في لبنان 1982-1974.

(5) نزيه أبو نضال: الشعر الفلسطينيّ المقاتل: دراسة في الواقعيّة الثوريّة، اتحاد الكتّاب والصحفيّين الفلسطينيّين, مطبعة الرأي الجديد, بيروت, الطبعة الأولى, كانون الأول, 1974,. 90.

المقاومة والأمل والإيمان بانتصار العدالة في النهاية»[1].

الحياة الفلسطينيّة مشحونة بالمحطّات التي تُثري الأدب، فتجيّش عواطف الشعراء لتفيض منهم شعرًا، وتسيل أقلام الكتّاب والأدباء ليترجموا مشاعرهم في نصوص أدبيّة مختلفة. ونجد أنّ. كفّة ميزان الأدب الفلسطينيّ الذي كُتب في المنفى ما تزال راجحة بشكل بيّن»[2]. والمرأة الفلسطينيّة دورها بارز في كلّ هذه المحطّات التاريخيّة للقضية الفلسطينيّة، لا سيما في لبنان الذي بقي لعقود طويلة خطّ المواجهة الأول مع العدو الصهيوني المحتل، فالمرأة الفلسطينيّة في لبنان قدّمت زوجها شهيدًا، دفعت بيدها أولادها نحو القتال دفاعًا عن القضيّة، بل هي بنفسها انخرطت أحيانًا للقتال والمواجهة، والمرأة الفلسطينيّة هي التي حملت القلم وكتبت الشعر أو النثر لتُشارك الرجل الذود عن الهوُيّة الفلسطينيّة.

1) الأدب النسوي في لبنان نشأته، وتألقه:

لبنان عمومًا، وبيروت خصوصًا التي عُرفت بالمدينة المحبّة للأدب، كانا حاضنين للثورة الأدبيّة الفلسطينيّة عامّة، والنسوي منه خاصّة، ففي هذا البلد ذاع صيت العديد من الشعراء والأدباء الفلسطينيّين رجالًا ونساءً، وعلت شهرتهم، وأُشير إليهم بالبَنَان داخل لبنان وخارجه، وكانوا محطّ الدراسات للكثير من الباحثين، من العرب وغيرهم، من غير أن ننكر أنّ الكثير منهم استمدَّ جذوة عطائه من شعراء وأدباء داخل الوطن المحتلّ فلسطين؛ ففلسطين رفرفت فيها أعلام كثيرة، بالرغم من أنّهم لم يكونوا وَرَثَةً لتاريخ شعريّ أو أدبيّ عربيّ طويل، بل كانوا ورثة لوضع سياسيّ معقّد لا فكاك لهم منه.

فقبل النكبة عام 1948، كان في طليعة الشعراء الأوائل في فلسطين إبراهيم طوقان[3] الذي كان يُعبّر بلغة ناريّة محكمة، واكتسب شهرة عظيمة في العشرينيّات والثلاثينيّات من القرن العشرين.

وعندما حصل زلزال النّكبة الفلسطينيّة عام 1948، وما أحدثته النكبة من هزّات نفسيّة وجسديّة مدمّرة، انعكس هذا نقطة تحوّل في الأدب العربيّ الحديث، فعمّ اليأس والقلق والاضطّراب، ومرّ الكتّاب الفلسطينيّون بفترة من الذهول بعد كارثة عام 1948، واحتاجوا إلى بعض الوقت ليجدوا أنفسهم، ويتابعوا مسيرتهم الأدبيّة المُضيئة. وعندما انطلق قطارهم الأدبيّ من جديد تألّق فيهم الكثير، ومنهم فدوى طوقان[4] التي تطوّرت بشكل مختلف، وظلّت شهرتها تنمو نموّا مطّردًا، خاصّة بعد حرب حزيران 1967، وعكفت على تطوير أسلوبها الشعريّ، فأغنت الشعر العربيّ الحديث بالشعر الرشيق البعيد عن التكلّف، المعبّر عن اكتشاف الأنثى لذاتها وفوزها في تحقيق هذه الذات[5]..

وعند الإشارة، إلى الشعر الفلسطينيّ في الوطن المحتلّ لا نُغفل غيره من ألوان الأدب، لا سيّما الفنّ القصصيّ منه الذي لم يقلّ شأنه عن الشعر إنتاجًا وصيتًا. ومن أوّل من يُذكر في هذا الباب الأديب

(1) المصدر السابق:. 33.

(2) المصدر السابق:. 36.

(3) **إبراهيم طوقان (1905–1941) شاعر فلسطيني**: من مواليد مدينة نابلس، نشر أوّل قصائده سنة 1923. له ديوان شعر طبع أكثر من مرّة, وأكثره في الوطنيّة والغزل. كثير من شعره لم يطبع وما زال في أيدي أصدقائه. خير الدين الزركلي: «الأعلام «, ج1,. 47. ويوسف أسعد داغر: مصادر الدراسة الأدبيّة,. 459.

(4) **فدوى طوقان (1917–2003)** : من مدينة نابلس، ولقبت بشاعرة فلسطين، حيث مثّل شعرها أساسًا قويًا للتجارب الأنثوية في الحب والثورة واحتجاج المرأة على المجتمع.
من آثارها الشعريّة: وحدي مع الأيام، دار النشر للجامعيين، القاهرة،1952 م. وجدتها، دار الآداب، بيروت، 1957م. الليل والفرسان، دار الآداب، بيروت، 1969م. ومن آثارها النثرية :أخي إبراهيم، المكتبة العصرية، يافا، 1946م. رحلة جبلية رحلة صعبة (سيرة ذاتية) دار الشروق، 1985م. د. سلمى الخضراء الجيّوسيّ: «موسوعة الأدب الفلسطينيّ المعاصر – أنطولوجيا».

(5) د. سلمى الخضراء الجيّوسيّ: «موسوعة الأدب الفلسطينيّ المعاصر – أنطولوجيا», ج1,. 48.

القصّاص خليل بيدس[1] فقد عُدَّ. أبا القصة الفلسطينيّة بسبب تعدّد أوجه نشاطه في الترويج لها»[2]. ومن الصعوبة بمكان أن نُغفل كذلك سحر خليفة[3]، الروائيّة المتألّقة في الضفة الغربيّة، صاحبة القدر الكبير من الذوق الفنّيّ، وتنويع اللّهجات حسب مكانة الشخصيّة ومستواها الثقافيّ في رواياتها.

هذه ثُلّة من الشعراء وكتّاب القصّة والرّواية في فلسطين، كان لها الدور المهمّ في دفع عجلة الإنتاج الأدبيّ الفلسطينيّ في لبنان إلى الأمام، والتأثير الجلي على إنتاج المرأة الأدبي في لبنان.

ولا نستطيع أن نُغفل أنّ الريادة الأدبيّة، حينها، كانت موضع تجاذب بين مصر ولبنان، ومن الطبيعيّ أن يكون الفلسطينيّون في لبنان متأثّرين بهذه الانطلاقة، بل إنّ تأثرهم بالريادة اللبنانية أكثر ممّا هي من الوطن المحتلّ فلسطين. وهذا أعطى غزارة أدبيّة في الإنتاج الفلسطينيّ في لبنان، بل إنّ هذه الغزارة وقوّة الإنتاج في هذه الحقبة الزمنيّة طغت على الإنتاج الأدبيّ الفلسطينيّ عمومًا، فلقد «هيمنت أعمال جبرا إبراهيم جبرا، وغسّان كنفاني، وسميرة عزّام،– وجميعهم كانوا يعيشون في الشتات– على ما أنتجه الفلسطينيّون في القصّة قبل سنة 1967»[4].

فالأدب النسوي الفلسطينيّ المعاصر في لبنان شكّل مساهمة ثريّة فاعلة في الثّقافة العربيّة الحديثة، وهي مساهمة تنبضُ بحياة هذا الشعب، وحيويّته في هذا البلد لبنان. وزاد هذا الأدبَ الفلسطينيّ تميّزًا تأثّرُهُ بما يجري في هذا البلد، إذ لم يكن منكفئًا على ذاته، ولا مقتصرًا على قضايا الأرض المحتلّة، أو منحسرًا في دائرة اللاجئين الفلسطينيّين فقط[5]، حيث نجد أنّ روايات ليانة بدر[6] تصوّر في مجموعتها «شرفة علي الفاكهانيّ». التي كتبتها عام 1983– ثوريًا تونسيًا يعيش في بيروت، ويحارب، ويموت من أجل القضيّة الفلسطينيّة، فلبنان كان واحة واسعة للأدب الفلسطينيّ، غزير الإنتاج في شتّى أركان هذا الأدب. بالمعنى الواسع للأدب[7]. من. الشعر، والرواية، والقصّة، والنّقد وغير ذلك.

وسأذكر أمثلة لأسماء من أبرز من ذاع صيتهنّ، وطارت شهرتهنّ في الشعر أو النثر:

1– <u>نساءٌ لَمَعْنَ في مجال الشعر:</u>

1) أسمى طوبي[8] (1905. 1983) شاعرة: ولدت في النّاصرة عام 1905. كانت عضوًا عاملاً في اتّحاد المرأة في (عكّا) بين 1929. 1948.

لها الكثير من المؤلّفات، منها: ديوان شعر بعنوان (حبّي الكبير): بيروت، دار الآداب، 1972. مصرع قيصر روسيا وعائلته (مسرحيّة في خمسة فصول)، عكّا، 1925. صبر وفرج (مسرحيّة في

(1) **خليل بيدس (1949–1874) أديب فلسطيني:** أول من اشتهر بكتابة القصة في فلسطين. ولد في مدينة النّاصرة. عام 1948 انتقل إلى بيروت، وتوفي فيها. خير الدين الزركليّ: الأعلام, ج2,. 313. ويوسف أسعد داغر: مصادر الدراسة الأدبيّة،. 196.

(2) د. سلمى الخضراء الجيّوسيّ: «موسوعة الأدب الفلسطينيّ المعاصر– أنطولوجيا», ج1,. 420.

(3) **سحر خليفة (1950) قاصّة وروائيّة فلسطينيّة:** من مواليد مدينة نابلس. تعمل في مركز الدراسات النسويّة في عمّان، وهي مديرة لمركز شؤون المرأة في مدينة نابلس. كتبت عدّة روايات. د. سلمى الخضراء الجيّوسيّ: «موسوعة الأدب الفلسطينيّ المعاصر– أنطولوجيا», ج2,. 229.

(4) د. سلمى الخضراء الجيّوسيّ: «موسوعة الأدب الفلسطينيّ المعاصر– أنطولوجيا», ج1,. 60.

(5) لمزيد من التفصيل والاطلاع: د. قصيّ الحسين: «الموت والحياة في شعر المقاومة», دار الرائد العربيّ، بيروت، لبنان، لا. ت، ص75–70.. د. سلمى الخضراء الجيّوسيّ: مصدر سابق، ج1,. 74–71.

(6) **ليانة بدر (1950) روائيّة وقاصّة فلسطينيّة:** مواليد القدس. عملت متطوّعة اجتماعيّة مع التنظيمات النسائيّة في الأردن, ثمّ في لبنان، ثمّ في دمشق, لتستقرّ في رام الله في فلسطين. لها العديد من الأعمال الأدبيّة. أحمد عمر شاهين: موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين, ص380–379. ومحمّد عمر حمادة: موسوعة أعلام فلسطين, ج6, ص196–194.

(7) د. حسام الخطيب: ظلال فلسطينيّة في التجربة الأدبيّة، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينيّة، دمشق، دار الأهالي, 1990.

(8) أحمد عمر شاهين: موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين،. 67. 68. وحسين لوباني: موسوعة أعلام فلسطين في العلوم والفنون والآداب،. 80. 81.

ثلاثة فصول)، عكّا،1943. نساء وأسرار(مسرحيّة من أربعة فصول) مُثّلت في فلسطين أربع مرّات، وفي لبنان مرّتين. واحدة بواحدة:(مسرحيّة من فصل واحد). القمار(مسرحيّة من فصل واحد).

ولها كتب نثريّة عديدة، منها: على مذبح التضحية (جزآن)، عكّا، 1946. الفتاة وكيف أرادها، عكّا، 1943. الابن الضالّ:(ترجمة)، عكّا، 1946. أحاديث في القلب: بيروت –1955. الدنيا حكايات:(ترجمة)، بيروت. في الطريق معه: (ترجمة): بيروت. 1960. عبير ومجد:(وهو من أبرز ما كتبت): بيروت. 1966. نفحات عطر:(مقالات): بيروت. 1967.

2) ثريّا عبد الفتاح ملحس[1] (1925) شاعرة وروائيّة وناقدة: وُلدت في مدينة نابلس، عملت في التدريس والإشراف على أطروحات الماجستير والدكتوراه في الجامعة اللبنانيّة.

من **أعمالها الشعريّة:** النَّشيد التائه، بيروت، 1949. قربان، بيروت، 1952. أناشيد ومجامر، المرحلة الأولى 1946–1956. ديوان جمع عناوين مجموعتها الشعريّة، اشتمل على العناوين التالية: مع الله، مع الوطن، مع النفس، مع الماضي، مع البشر، بيروت، 1961. محاجر في الكهوف، بيروت، 1961. خبّأنا الصواريخ في الهياكل، بيروت، 1968. ألوان، مختارات شعريّة تصف فنَّ الكتابة، بيروت، 1959. وهي غزيرة الإنتاج في مجال البحوث الأدبية.

3) رجاء عادل أبو غزالة[2] (1942–2005) شاعرة وروائيّة: ولدت في مدينة بيروت، وتوفّيت في مدينة عمّان. شاركت في كتابة مقالات بشكل منتظم في صحيفة «صوت الشعب»، وصحيفة «الرأي» الأردنيّتين، ورسمت الكاريكاتير في «الحوادث» اللبنانيّة.

من إنتاجها الشعريّ والأدبي: صدر لها ديوانان: «معك أستطيع اغتيال الزمن». دار الشعب. عمّان 1978. «الهروب الدائري». دار الشعب. عمّان 1980. لها ستّ مجموعات قصصيّة: «الأبواب المغلقة»: دار الباحث. بيروت 1982.«المطاردة»: دار الشروق. عمان 1988. «كرم بلا سياج»: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر. بيروت 1992. «القضيّة»: وزارة الثقافة. عمان 1994. «زهرة الكريز»: دار الكرمل. عمان 1994. «امرأة خارج الحصار»: رابطة الكتّاب. عمان 1995.

2- <u>وأخريات بَرَزْنَ في مجال القصة والرواية:</u>

1) سميرة عزام[3]. 1927. 1967. قاصّة ومترجمة: ولدت في مدينة عكّا، نزحت سنة 1948 إلى لبنان. منح اسمها وسام القدس للثقافة والفنون في كانون الثاني 1990.

من أعمالها القصصيّة. أشياء صغيرة: بيروت. 1954. الظلّ الكبير: بيروت. 1956. وقصص أخرى: بيروت. 1960. الساعة والإنسان: بيروت. 1960. العيد من النّافذة الغربيّة. بيروت. ط. – 1982. **ومن ترجماتها.** القصّة القصيرة: راي ويست. بيروت. 1961. مختارات من قصص توماس وولف: بيروت. 1962. كانديدا: برنارد شو. بيروت. 1955. جناح النساء: بيرل بك. بيروت–1956. ريح الشرق وريح الغرب: بيرل بك 1958.

قال الشاعر الراحل (أبو سلمى) في وصف نتاج الأديبة والإذاعيّة سميرة عزّام: «كان أغزر ينبوع

(1) أحمد عمر شاهين: موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين،ص 112–111. وحسين لوباني: موسوعة أعلام فلسطين في العلوم والفنون والآداب،. 143.

(2) طلعت سقيرق: دليل كتّاب فلسطين، دار الفرقد, دمشق 1998. محمّد عمر حمادة: موسوعة أعلام فلسطين في القرن العشرين, ج3. ص 103. وحسين لوباني: موسوعة أعلام فلسطين في العلوم والفنون والآداب،. 242.

(3) رفعت أحمد شناعة: الواقعيّة في القصّة الفلسطينيّة القصيرة، من العام 1967 إلى العام 1993,. 265. أحمد عمر شاهين: موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين,. 229–227. وحسين لوباني: موسوعة أعلام فلسطين في العلوم والفنون والآداب،. 326–327.

تستقي منه سميرة عزّام، هو شعبها ووطنها وقلبها.. لا أدري إذا كانت هناك قاصّة عربيّة تُجاري سميرة عزّام في قصصها الرائعة إشراقة عبارة، وسموّ فكرة..»[1].

2): ليانة بدر[2] (1950) روائيّة وقاصّة ومُخرجة سينمائيّة. مواليد القدس. تحمل ليسانس الفلسفة من جامعة بيروت العربيّة. **من أعمالها الأدبيّة:** شرفة على الفاكهاني: قصص– دمشق– 1983. قصص الحبّ والملاحقة: قصص– عدن– 1983. أنا أريد النّهار: قصص–سوريا– 1985. جحيم ذهبيّ: قصص، بيروت، 1991. **وممّا كتبته للأطفال:** رحلة في الألوان: بيروت– 1980. فراس يصنع بحرًا: بيروت– 1980. وهي في رواياتها تغوص في واقع مكانها وزمانها ومعاناتها كلاجئة تتنقل من بلد إلى بلد. هذا الواقع التاريخيّ تطرحه لتسجّل أزمتها التاريخيّة وتعاين الواقع من خلال رسمه بريشة واقعيّة شفافّة قادرة على رسم النضال كما لو أنّها ترسم الموت الذي تتبثق منه الحياة»[3].

* هذه ثلّة من شاعرات وأديبات فلسطينيّات، عِشْنَ في لبنان، ولو لفترة من الزمن، فكتبن وأَثْرِيْنَ الأدب الفلسطينيّ، وطعّمنه برائحة تراب أرض فلسطين التي لم تطأها بعضهن أو وطئتها لسنوات قليلة من عمرها، ولتدفن بعيدًا عنها، فلم تنل ضمّة لترابها، أو ضمّة من ترابها، وصبغن هذا الأدب بالأحمر القاني تارة المتدفّق من أجساد الشهداء أو إصابات الجرحى في سبيل فلسطين، أو بسواد مآتم قوافل الشهداء، وبؤس آلاف الأيتام والأرامل والبيوت التي أغلقت من همجيّة العدوّ الغاصب الظالم، أو بأخضر عشب الأرض الطيّبة المباركة المقدّسة في فلسطين التي تنبت فيها سنابل العودة بالرغم من سحقها بأقدام الغزاة الصهاينة، أو بأبيض الأمن والسلام والعودة إلى كلّ الأرض والديار التي ترنو إليها عيون الأجيال الواعدة، وتشرئبُّ إليه عنق الأمل.

إنّ من أعظم ما أنجزه الأدب النسوي الفلسطينيّ المعاصر في لبنان، تصويره المرهف الراقي جماليًا لوضع وجوديّ حقيقيّ، وكارثة إنسانيّة كبيرة. فالأدب الفلسطينيّ تناول بالدرجة الأولى معاناة ونضال جزء من الإنسانيّة، وجد نفسه عالقًا في شَرَك سياسيّ أُحكمت هندسته، وغرق فيه دون رضاه. وتزاحمت الكتابات الأدبيّة النسويّة الفلسطينيّة في لبنان من عام 1948 إلى عام 1982، عام الاجتياح الصهيونيّ، ثم من بعد ذلك بدأ الأدب النسوي الفلسطيني بالخفوت، والضُمور.

ولكنّ هذه الثورة الأدبيّة النسويّة الفلسطينيّة في لبنان ساهم فيها وقوّاها ما وصل إليه الوضع الفلسطينيّ في لبنان، وما بَنته أو ساعدت فيه منظّمة التحرير الفلسطينيّة، أو أسّسه فلسطينيّون مثقّفون وأثرياء، وأَمَدُ هذه الثورة لم يطل فعندما اجتاح العدوّ الصهونيّ لبنان عام 1982، ووصلت الدبابات الإسرائيليّة إلى العاصمة اللبنانيّة بيروت، لم تكن تستهدف حامل البندقيّة وحده، بل استهدفت كلّ مقاوم ولو بالقلم، وهذا كان واضحًا عندما نسفت القوّات الإسرائيليّة مركز الأبحاث الفلسطينيّ في بيروت بعد نَهْب محتوياته، ولا تخفى رمزيّة هذا المركز، ولا تخفى كذلك دلالة تدميره.

فبعد عام 1982 تغيّرت المعادلة الفلسطينيّة برمّتها في لبنان، وأصبح هذا الفلسطينيّ، لفترة من الزمن، مطارَدًا، أو محاصرًا باحثًا عن لقمة عيشه .

هذا كلّه أثّر تأثيرًا بالغًا على الإنتاج الأدبيّ لهذا الشعب عامّة، والأدب النسوي الفلسطيني خاصة، وانعكس على حجم عطائه على سائر الصُعُد كافّة.

(1) مجلّة بلسم: العدد 268, تشرين الأوّل 1997.

(2) أحمد عمر شاهين: موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين، ص380–379. وحسين لوباني: موسوعة أعلام فلسطين في العلوم والفنون والآداب، ص496. ومحمّد عمر حمادة: موسوعة أعلام فلسطين, ج6. ص 196–194.

(3) فخري صالح: في الرواية الفلسطينيّة،. 119.

2) الأدب النسوي في لبنان من التألّق إلى التدنّي:

كان الأدب النسوي الفلسطينيّ بعد نكبة عام 1948 رومنسيًا ينبض بالحنين لفلسطين ويحمل مرارة الهزيمة، وضياع الأرض. غاب فيه البطل، بفعل الهزيمة، وتناولت الروايات والقصص موضوع الجماعة المهزومة، استمرّت هذه المرحلة إلى العام 1965، إيذانًا بمرحلة جديدة، فبدأ البطل يظهر بصورة فدائيّ واكتسب الأدب مضامين جديدة. «في تلك الفترة بدأ الأدب الفلسطينيّ يكتسب مضامين جديدة أبرزها نقد الأنظمة العربيّة المتخاذلة إزاء القضيّة الفلسطينيّة، وبدأت ملامح البطل الذي يُبشّر بالانتصار تبرز مع انطلاق منظمة التحرير الفلسطينيّة، وحركة الفدائيّين الفلسطينيّين. وقد كتب الدكتور قسطنطين زريق (معنى النكبة) في العام 1949، وبعد هزيمة 1967 أصدر (معنى النكبة مجدّدًا)، وفي عام 1994 أصدر (ما العمل؟) كأنّ هذا العقل الكبير وصل إلى طريق مسدود، وهذا الأمر ينطبق على الأدب»[1].

ولا شكّ في أنّ معركة بيروت أحدثت انعطافة نوعيّة جديدة في التاريخ الفلسطينيّ والنضال التحريريّ الفلسطينيّ والثقافة الوطنيّة الفلسطينيّة، التي تعتبر الوعاء الرئيس لصيانة الانتماء والإصرار على الاستقلال الوطنيّ لشعب مكافح، محاصر، ومقاوم. حيث ترى الشاعرة الباحثة سلمى الخضراء الجيوسي: «أنّ الشعر الفلسطينيّ بعد الخروج من لبنان إلى تونس تغيّرت لهجته ورؤياه، وخيّم على القصيدة الفلسطينيّة صور الانزلاق والحصار والتهجير، وتلاشى الحلم الذي كان يقود الفلسطينيّين نحو يافا»[2].

فقبل العام 1983 حلّق الأدب النسوي الفلسطينيّ بكلّ ألوانه وأطيافه، واستطاع أن يخترق الأزمات السياسيّة، والحصارات الثقافيّة غير المسبوقة التي عانى منها في حقبات مختلفة، وكان الشعر سبّاقًا في هذا الاختراق، عندما حمل مسؤوليّته، كما حملتها الرواية والقصّة بجدارة، في المحافظة على الهُويّة، وإبقاء الذاكرة طازجة ومُشرّعة، وتمسّكًا بالمكان، وتأريخًا لصفحات نضال غالية وعزيزة، وشارك في تكريس أدبٍ للمقاومة ما زال ينمو ويتصاعد، يحرّض، ويرافق الأحداث، ويسبقها، ويستشرف المستقبل، وينتظر معنى بشائر النصر.. فالأرض هي رمز وتجسيد حيّ وملموس للوطن، الذي نناضل ونقاوم لحمايته وصيانته، ومواجهة مشاريع الاقتلاع والترحيل، وهي تكتسب أبعادًا كثيرة في أدبنا وثقافتنا الفلسطينيّة المعاصرة. وقد نجح الأديب الفلسطينيّ في استلهام الوطن بتفاصيله اليوميّة الدقيقة ما جعل الوطن يتحوّل إلى معنى رائع وجميل في العقل الفلسطينيّ والذهن الإنسانيّ»[3].

وبما أنّ. الإنتاج الأدبيّ والنّقديّ الفلسطينيّ ملتصق يوميًا بتطوّرات الحياة السياسيّة و(الإداريّة. المعاشيّة) المتقلّبة، وارتباطه القسريّ، إن لم يكن العضويّ، بطبيعة التجربة التاريخيّة لشعب تتقاذفه الرياح الهوج دون هوادة»[4]. هكذا يمكننا أن نختصر حجم ونوعيّة الإنتاج الأدبي النسوي الفلسطينيّ في لبنان من بعد العام 1983، في ما يتعلّق بإنتاج بكرٍ، أو أدبيات جديدات ذاع صيتهن وأخذن موقعهن في سجلّ التاريخ. فكثير من الأدبيات اللواتي عشن الأدب الفلسطينيّ في لبنان في زهوته، وصلن وجُلن في عاصمة الثقافة بيروت التي عشقت الأدب الفلسطينيّ، وعشقها الأدب الفلسطينيّ، وبقين في لبنان بعد العام 1982، وجدن دفاترهن وأقلامهن تحت الركام لكن لم يُسيطر عليهن يأس ولا أقعدتهم شِدّة بل تمكّنوا من النهوض من جديد، وعادوا للنضال الأدبي من جديد.

(1) جريدة اللّواء اللبنانيّة: صقر أبو فخر، حاورته كلود أبو شقرا, 23/2/2010.
(2) د. سلمى الخضراء الجيّوسيّ: «موسوعة الأدب الفلسطينيّ المعاصر– أنطولوجيا», ج1,. 85.
(3) جريدة الحريّة: شاكر فريد حسن, بيروت, 2/4/2011.
(4) د. حسام الخطيب: النقد الأدبيّ في الوطن الفلسطينيّ والشتات،. 17.

ولكنّ الأمر اختلف تمامًا عند الجيل الجديد الذي فتح عينيه على صور الدمار في المخيّمات، أو ليشتمّ رائحة الدم من المجازر المرعبة، أو ليكون ملاحَقًا وخائفًا من كلّ من هو حوله لأنّه (فلسطيني)، فانغمست المرأة الفلسطينيّة بهموم بيتها وعائلتها، وتربية أولادها والحفاظ عليهم من تلك الأيام السوداء، فتحوّلت إلى ربّة منزل وحسب، ولم يعد يعنيها غالبًا الشعر أو النثر، فتقزّمت القضيّة من وطن يسكنُ فيه شعبٌ إلى بيت تسكن فيه عائلة. فلم يأت الإنتاج على قدر الأمل، بل إنّ البحث والتفتيش عن الأدبيات والمثقفات الفلسطينيات المُنتجات بات مهمّة صعبة جدًّا، كأنّها بحاجة إلى مجهر. وإن وجدت ما تبحث عنها فليس هذا هو المُرتجى بإنتاجها الشعريّ أو النثريّ، بل وجدته لا يُجاري ما سبق في كثير من الأحيان.

وفي ما يلي نأتي على ذكر أديبات لَمَعْنَ في مجالي الشعر والأدب منهنّ:

1) منوّر فؤاد قبلاوي[1] (2006–1932) شاعرة: ولدت في مدينة عكّا (فلسطين)، وتوفيت في عمّان. عملت منذ عام 1955 حتّى عام 1985 مديرة لمدرسة دلّاتا في دمشق. ثمّ انتقلت إلى لبنان، وعملت مديرة لمدرسة حيفا في بيروت حتّى العام 1996 حيث انتقلت إلى الأردن وتفرّغت للعمل التطوّعيّ. حصلت عام 1999 على شهادة تقدير من فرع رابطة الكتاب الأردنيّين في محافظة الزرقاء.

من إنتاجها الشعريّ: «شمعة يذيبها الظلام». بيروت 1984. «على ضفاف الرحيل». دار العلوم. بيروت 1986. «الزورق المصدوع». مكتبة الفقيه. بيروت 1999. «الرماد لن يصير جمرًا». مكتبة النجاح. بيروت 1999. «سمّيتك لوطني حدودًا». مكتبة الفقيه. بيروت 2000. «على حافّة الحلم». مكتبة الفقيه. بيروت 2002.

وهي حين تتحدّث عن شعرها تصفه:. أحاول أن أقدّم نسْجًا من نفسي.. صوتًا من حنجرتي.. سحابة من بين ضباب.. لهبًا من قضيّة... فأنا أكتب بعفويّة.. وببساطة...»[2] .

2) ميّ علّوش (1940) باحثة وأديبة: وُلِدتُ في بيرزيت، شماليّ مدينة القدس. انتقلت إلى بيروت سنة 1962 وبقيت في لبنان حتّى خروجها إلى أمريكا عام 1997، وعادت إلى لبنان ثلاث مرّات، وفي آخر المَطاف خرجت مع مَن خرجوا غداةَ حرب تمّوز المدمِّرة عام 2006، وحتّى الآن تتنقل بين لبنان وأميركا. نالت الجائزة الأولى في كتابة القصّة القصيرة من إذاعة الكويت.

أصدرت عدّة كتب، منها: «بيروت ذكرى وتاريخ»، دار المستقبل عام 1993. وكان في الأصل برنامجًا إذاعيًّا يتحدّث عن تاريخ بيروت، وأخبارها. «أشهر حصارات المدن في التاريخ»، دار الطليعة، عام 1994. «الأسماء النسائيّة»، دار الحمراء، عام 1995. «عرائس الشِّعر»، عام 2000. «معجم الشعراء وأروع ما قيل في النِّساء»، دار المؤلّف، عام 2002. «ثلاثة كتب من سلسلة لآلئ الشعر»، في الغزل والرثاء والهجاء، عن دار المؤلف، عام 2002. «أرض الياسمين، ديوان شعر» دار علّوش للنشر، بيرزيت، 2009. ويشير د. موسى علوش[3] –في تقديمه للديوان– إلى تأثّر الشاعرة في فترة طفولتها بشعراء عديدين؛ منهم فدوى طوقان، وسلمى الجيوسي، وبدر شاكر السيّاب، وآخرين تركوا أثرًا واضحًا في قصائدها ذات الطابع الرومانسيّ؛ حيث تهيم في الخيال قبل أن تعود إلى أرض الواقع، كما أنّها تمتاز بصدق العاطفة والبعد عن التعقيد، ويتسم شعرها بالبساطة واليُسر وطول النفس، وهو

(1) جريدة اللّواء اللبنانيّة: بقلم رولا يحيى»الشاعرة منوّر قبلاوي، معاناة فلسطين في شمعة يذيبها الظلام», بيروت, 17/8/1984. جريدة الأنوار اللبنانيّة: بقلم زينب حمودة «مجموعة منوّر قبلاوي حكاية للجنوب الصامد», بيروت 9/4/1986.

(2) منور قبلاوي: على ضفاف الرحيل, دار العلوم العربيّة للطباعة والنشر, بيروت, الطبعة الأولى, 1986,. 5.

(3) موسى علّوش: من مواليد بيرزيت 1947. من أعماله: أوراق شخصيّة(شعر)، مذكرات صيدليّ قانونيّ(قصص)، شعراء بيرزيت (دراسة)، الأغاني الشعبيّة الفلسطينيّة في بيرزيت، قصائد من عصر الحجر، (شعر). وهو شقيق الأديبة الفلسطينيّة مي علّوش, وصاحب مطبعة دار علّوش في بيرزيت.

يتنوّع –من حيث الشكل– بين الحرّ والعموديّ. «الكلمات الأخيرة»: عن دار الخيال، عام 2010.

خاتمة البحث:

لا يمكنني القول في نهاية هذا البحث: إنّ الأدب النسويّ الفلسطينيّ في لبنان بخير، كما أنّني لا أدّعي أنّه مُحي فلم يبق منه شيء. نعم، لقد تدنّى المستوى الإنتاجيّ الأدبيّ النسوي الفلسطينيّ في لبنان إلى درجة محزنة، فالعمل الأدبيّ أصبح في أكثره قائمًا على الأفراد وليس على المؤسّسات، وما هي قدرة الفرد! وكيف ستحلّ محلّ مراكز الأبحاث، أو المؤسّسات المموّلة للطباعة والنشر والتوزيع كما كان سابقًا. ولا ننكر أنّ بعضهنّ بإمكاناتهنّ المتواضعة كتبن فأجدن ونَشَرن. فمستوى العمل يتفاوت من أديبة إلى أخرى، وحجم الإنتاج صار يرتبط بالإمكانيّات الماليّة أوّلاً قبل التفكير بغيره، وهذا ينعكس على أصل العمل، لماذا أكتب إن لم أستطع أن أنشر!. وقد التقيت بكثير من الشاعرات، أو الأديبات ممّن يشاركن في أمسيّات شعريّة، أو ندوات أدبيّة، وعندما سألتهنّ ماذا طبعتنّ؟. فكان الجواب: لا شيء، لا مقدرة ماليّة على ذلك، ومن ليس لها إنتاج أدبي مطبوع لا مجال لذكرها عند الحديث عن الكاتبات.

كأنّ الأدب كائن حيّ يُولد وينمو ويشبّ ويهرم ويموت ثمّ يُبعث بعد حين، إنّه حكاية الإنسان في الحزن والفرح، في السعادة واليأس، في الغنى والفقر... في الولادة والموت والبعث. وإذا كان الأدب والفكر مرآة حياة الشعوب دومًا، فمن الطبيعيّ أن يبرز دورهما بروزًا أكبر في المراحل الحاسمة والعصيبة من حياة تلك الشعوب.

لا شكّ في أنّ القضيّة الفلسطينيّة فجّرت مكامن الأدب، من شعر ورواية... في العالم العربيّ التي نهلت من أحداثها منذ بدايات القرن العشرين وما زالت إلى اليوم تروي فصولاً منها ولو على وتيرة أخفّ، وتزخر المكتبة الأدبيّة والتاريخيّة والفكريّة والفنّيّة العربيّة بالمئات من النتاجات المختلفة، التي على كثرتها، لم تفِ القضيّة كلّ حقّها.

وعلينا أن نعترف بشجاعة الأمل، أنّ المستوى الأدبيّ العامّ ومنه النسويّ وفي مُجْمَل الأجناس الأدبيّة التي تنتمي إلى أدب المقاومة، بما فيها الشعر والرواية على وجه الخصوص، قد تدنّى عن السابق، لأسباب متعددة، أصبحت معروفة ومدار بحث ونقاش عند الأدباء والنقّاد والمثقفين،. فشل حركة التحرّر الوطنيّ في الوصول إلى التحرير، تخلّي العرب عن القضيّة، الانقسام الفلسطينيّ أثّر في صورة الفلسطينيّ في العالم ... جاءت الانتفاضة الأولى في فلسطين أو ثورة الحجارة عام 1987، لتُعيد القضيّة الفلسطينيّة إلى كلّ بيت عربيّ... إلّا أنّ انتفاضة الأقصى قسّمت، للأسف، الفلسطينيين والعرب باختلافهم حول آليّة الانتفاضة .. كان الشعب الفلسطينيّ من أكثر الشعوب ثقافة ويجتمع تحت مظلّة منظّمة التحرير الفلسطينيّة، الآن لم يعد هذا الأمر موجودًا، حتّى منظّمة التحرير لم تعد تمثّل كلّ الفلسطينيين، هكذا تضاءل حضور القضيّة في الفكر السياسيّ العربيّ... بالإضافة إلى عوامل محيطة ساهمت في تغيير موازين القوى من بينها: حرب الخليج الأولى آب عام 1990، سقوط الاتحاد السوفياتي، حرب الخليج الثانية عام 2003، احتلال العراق، «الحرب على الإرهاب»... هذه المنطقة تتنازعها العواصف التي تؤثّر في القضيّة بشكل كبير جدًا»[1].

المصادر والمراجع

- **المصادر والمراجع الأدبيّة والتاريخيّة والسياسيّة:**
  - **إبراهيم طوقان، ديوان:** دراسة متخصّصة للدكتور زكي المحاسني، دار العودة، بيروت، 2005.

(1) جريدة اللّواء اللبنانيّة: صقر أبو فخر، حاورته كلود أبو شقرا، 23/2/2010.

- **أحمد عمر شاهين:** موسوعة كتّاب فلسطين في القرن العشرين، دائرة الثقافة– منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، الطبعة الأولى، 5/1992.
- **حسام الخطيب:**
- النقد الأدبي في الوطن الفلسطينيّ والشتات، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1996.
- ظلال فلسطينيّة في التجربة الأدبيّة، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينيّة، دمشق، دار الأهالي، 1990.
- **حسين علي لوباني:** معجم أعلام فلسطين في العلوم والفنون والآداب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2011.
- **خير الدين الزركليّ:** الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1984.
- **رفعت أحمد شناعة:**
- الواقعيّة في القصّة الفلسطينيّة القصيرة، من العام 1967 إلى العام 1993، دار المواسم، بيروت، الطبعة الأولى، 2001.
- عمالقة فلسطين، تقديم محمّد حسن الأمين، المطبعة العصريّة، صيدا، لبنان، 1990، لا ط.
- **سلمى الخضراء الجيّوسي:** موسوعة الأدب الفلسطينيّ المعاصر– أنطولوجيا، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997.
- **طلعت سقيرق:** دليل كتّاب فلسطين، دار الفرقد، دمشق 1998.
- **فخري صالح:** في الرواية الفلسطينيّة، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، نيسان 1985.
- **قصي الحسين:** الموت والحياة في شعر المقاومة، دار الرائد العربيّ، بيروت، لبنان، لا ت.
- **محمّد عمر حمادة:**
- موسوعة أعلام فلسطين في القرن العشرين، دار الوثائق، دمشق، الطبعة الأولى، 1428هـ– 2007م.
- موسوعة أعلام فلسطين، دار قتيبة، سوريا، ط1، 1991 .
- **منوّر قبلاوي:** على ضفاف الرحيل، دار العلوم العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1986.
- **نزيه أبو نضال:** الشعر الفلسطينيّ المقاتل: دراسة في الواقعيّة الثوريّة، اتحاد الكتّاب والصحافيّين الفلسطينيّين، مطبعة الرأي الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، كانون الأوّل، 1974.
- **يوسف أسعد داغر:** مصادر الدراسة الأدبيّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.
- **الدوريّات:**
- **المجلات:**
- مجلّة الحريّة: بيروت، 1/10/2005.
- مجلّة الوطن العربيّ: حوار أجري مع الشاعرة الفلسطينيّة مي صايغ، العدد 167، نيسان 1980.
- مجلّة بلسم: العدد 268، تشرين الأوّل 1997.
- **الصُحف:**
- جريدة الأنوار: بقلم زينب حمودة «مجموعة منوّر قبلاوي حكاية للجنوب الصامد»، بيروت 9/4/1986.
- جريدة الحريّة: شاكر فريد حسن، بيروت، 2/4/2011.
- جريدة اللّواء اللبنانيّة:
- حوار كلود ابو شقرا مع صقر أبو فخر، العدد 12814، الثلاثاء 23/2/2010، الموافق. ربيع الأول 1431هـ.
- بقلم رولا يحيى»الشاعرة منوّر قبلاوي، معاناة فلسطين في شمعة يذيبها الظلام»، بيروت، 17/8/1984.